

الدرس الرابع عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه وتستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ؛ صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين . اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، اللهم علِّمنا ما ينفعنا وزدنا علماً ، اللهم إنا نسألك علماً نافعاً ورزقاً طيباً وعملاً متقبلاً .

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وغفر له في كتابه «أصول الإيمان» :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((خُلقت الملائكة من نور وُخُلقت الجن وُخُلِق آدم مما وُصف لكم)) رواه مسلم . وثبت في بعض أحاديث المعراج ((أنه صلى الله عليه وسلم رُفِع له البيت المعمور الذي هو في السماء السابعة وقيل في السادسة بمنزلة الكعبة في الأرض ، وهو بجبال الكعبة ، حرمته في السماء كحرمة الكعبة في الأرض ، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم)) .

حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((خُلقت الملائكة من نور وُخُلقت الجن وُخُلِق آدم مما وُصف لكم)) ؛ هذا الحديث ساقه وأورده رحمه الله تعالى في ((باب ذكر الملائكة عليهم السلام والإيمان بهم)) لأن فيه شيئا يتعلق بخلق الملائكة والشيء الذي خُلِق منه الملائكة وأنهم خُلِقوا من نور ، وعرفنا فيما سبق أن خلق الملائكة كان متقدماً على خلق آدم كما يدل على ذلك آيات في كتاب الله تبارك وتعالى سبق الإشارة إلى بعضها ، فالملائكة خُلِقوا قبل خلق آدم ووجدوا قبله ، وكان أصل خلقهم أو الشيء الذي خُلِقوا منه هو النور كما قال عليه الصلاة والسلام ((خُلقت الملائكة من نور)) ، وآدم عليه السلام خُلِق من طين ، والشياطين خُلِقوا من النار ؛ ولهذا الأجناس الذي خُلِق منها هذه الأصناف الثلاثة مختلفة ؛ الملائكة خُلِقوا من النور ، وآدم خُلِق من الطين ، والشياطين خُلِقوا من النار . وكنا أيضا رأينا أثر الإيمان في الجمع بين المفترق جنساً في قوله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: 70] ، وأن الملائكة في قلوبهم محبة ومودة لأهل الإيمان ودعوات لأهل الإيمان ، وذلك لجامع الإيمان بين الملائكة والمؤمنين مع اختلاف الجنس ، الملائكة خُلِقوا من النور، وآدم خُلِق من طين ، ولكن رابطة الإيمان تجمع بين المفترق جنساً .

الشاهد من هذا الحديث حديث عائشة رضي الله عنها لهذه الترجمة: أن فيه ذكراً للملائكة وأنهم خُلِقوا من نور . ثم الحديث الذي بعد أورده المصنف رحمه الله لأن فيه بياناً لكثرة الملائكة وأن عددهم لا يحصيه إلا الذي خلقهم ، وذلك أن النبي عليه الصلاة والسلام عندما عُرِج به إلى السماء وُزِع إليه البيت المعمور أُخبر عليه الصلاة والسلام أن البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون ، فإذا كان من يدخل البيت المعمور من الملائكة يومياً سبعون ألف ومن دخل لا يعود ، أي أن من يدخلون البيت المعمور هم غير من دخله في المرات السابقة والمرات الماضية ؛ فهذا فيه دلالة واضحة على كثرة عدد الملائكة وأن عددهم لا يحصيه إلا الله جل وعلا ، وثمة نصوص عديدة تدل على كثرة الملائكة سبق الإشارة إلى شيء منها وسيأتي بعضها عند المصنف رحمه الله تعالى .

قال رحمه الله تعالى :

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ما في السماء موضع قدم إلا عليه ملكٌ ساجدٌ أو ملكٌ قائمٌ فذلك قول الملائكة : ﴿وَأِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصفات: ١٦٥-١٦٦] رواه محمد بن نصر وابن أبي حاتم وابن جرير وأبو الشيخ ، وروى الطبراني عن جابر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ما في السماوات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف إلا وفيه ملكٌ قائمٌ أو ملكٌ ساجدٌ أو ملكٌ راعٍ ، فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعاً سبحانك ما عبدناك حق عبادتك إلا أننا لم نشرك بك شيئاً)) .

ثم ساق رحمه الله تعالى هذين الحديثين حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وفيهما أيضاً بيان كثرة الملائكة وكثرة عددهم ، وأيضاً فيه ملازمة الملائكة لعبادة الله وأنهم يعبدون الله عز وجل ويسبحونه ويسجدون له ويخضعون له ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الانباء: ٢٠] لا يملؤون ولا يسأمون من العبادة وهم في عبادة دائمة ومستمرة لله تبارك وتعالى . وفيه كما قدمت الدلالة على كثرة عدد الملائكة؛ لأن السماوات على اتساعها وتباعد أطرافها ما فيها موضع شبرٍ إلا وفيه ملكٌ ساجدٌ لله تبارك وتعالى ، فهذا يدل على أن عدد الملائكة في السماوات عدد كثير لا يحصيه إلا الله كما يدل على ذلك أيضاً قول الله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَيْئاً إِلَّا مَن بَعْدَ أَنْ يُأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيُرِضِي﴾ [النجم: ٢٦] و«كم» هنا تكثيرية فيها بيان وإشارة إلى كثرة عدد الملائكة في السماوات ، وهنا يخبر عليه الصلاة والسلام أن ما في السموات موضع شبرٍ إلا وفيه ملكٌ ساجدٌ لله تبارك وتعالى .

حديث عائشة قال فيه عليه الصلاة والسلام : ((ما في السماء موضع قدم إلا عليه ملكٌ ساجدٌ أو ملكٌ قائمٌ ؛ فذلك قول الملائكة : ﴿وَأِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾)) الصافون: أي القائمون خضوعاً لله تبارك وتعالى صفوفاً قائمة متذلة بين يدي الله تبارك وتعالى ﴿وَأِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ أي المداومون على تسبيح الله تبارك وتعالى وحمده وذكره جل وعلا .

وحديث جابر هو بمعناه ويشهد لحديث عائشة رضي الله عنها ؛ ((ما في السماوات السبع موضع قدمٍ ولا شبرٍ ولا كفٍ إلا وفيه ملكٌ قائمٌ أو ملكٌ ساجدٌ أو ملكٌ راعٍ)) وهذا بمعنى حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ولفظه مقارب للفظ حديثها .

قال: ((فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعاً سبحانك ما عبدناك حق عبادتك إلا أننا لم نشرك بك شيئاً))

قال رحمه الله تعالى :

وعن جابر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أُذِنَ لي أن أُحَدِّثَ عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام)) الحديث رواه أبو داود والبيهقي في الأسماء والصفات والضيء في المختارة .

ثم أورد رحمه الله تعالى هذا الحديث حديث جابر رضي الله عنه وفيه عظم أجسام الملائكة وكبر أجسامهم وضخامتها ، وأن أجسامهم ضخمة جدًا وكبيرة ولا يعلم كبر أجسام الملائكة وضخامتها إلا الذي خلق الملائكة وأوجدها سبحانه وتعالى . فيقول عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث حديث جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((أُذِنَ لي أن أُحَدِّثَ عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش)) ومر معنا في القرآن الكريم قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ ﴾ [غافر: ٧] ، وقول الله جل وعلا : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٧] أي ثمانية من ملائكة الله عز وجل .

وفي هذا الحديث يخبر عليه الصلاة والسلام أن الله عز وجل أذن له أن يخبر عن صفة أحد الملائكة الذين يحملون العرش ، ولم يذكر لنا شيئاً من تفاصيل صفته عليه الصلاة والسلام وإنما أشار إلى أمرٍ واحد وهو المسافة التي بين شحمة الأذن والعاتق فقط ، وهذه الإشارة في هذا الحديث إلى المسافة بين شحمة أذن الملك وعاتقه تعطي دلالة واضحة وأمارة بينة إلى كبر جسم هذا الملك وضخامته ، لأنك إذا عرفت أن المسافة بين شحمة الأذن والعاتق مسيرة سبعمائة سنة ، وفي بعض روايات الحديث جاء بلفظ ((تخفق فيه الطير سبعمائة سنة)) ، فإذا كانت المسافة بين شحمة الأذن والعاتق بهذا الطول وبهذا الامتداد فكيف بالمسافات الأخرى بين بقية أجزاء بدنه!! فهذا يعطي مؤشراً واضحاً إلى كبر أجسام الملائكة وضخامتها ، وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أن ما بين عقب الملك وأسفل قدمه مسيرة خمسمائة سنة ؛ فهذا يدل على كبر أجسام هؤلاء الملائكة .

قال ((أُذِنَ لي أن أُحَدِّثَ عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام)) ؛ وفي الحديث إثبات عرش الرحمن وأن له حملة من الملائكة ، وهذا المعنى دل عليه القرآن كما سبق الإشارة إلى الآيات الدالة على ذلك من كتاب الله عز وجل .

قال رحمه الله تعالى :

فمن سادتهم جبرائيل عليه السلام وقد وصفه الله تعالى بالأمانة وحسن الخلق والقوة فقال تعالى : ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ [النجم: ٥-٦] ، ومن شدة قوته أنه رفع مدائن قوم لوط عليه السلام وكنَّ سبعاً بمن فيهنَّ من الأمم وكانوا قريباً من أربعمئة ألف وما معهم من الدواب والحيوانات وما لتلك المدائن من الأراضي والعمارات على طرف جناحه حتى بلغ بهن عنان السماء ، حتى سمعت الملائكة نباح كلابهم وصياح ديوكتهم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها ؛ فهذا هو (شديد القوى) ، وقوله : (ذو مِرَّة) أي : ذو خلق حسن وبهاء وسناء وقوة شديدة ؛ قال معناه ابن عباس رضي الله عنهما ، وقال غيره : (ذو مِرَّة) أي : ذو قوة ، وقال تعالى في صفته : ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ١٩-٢١] أي : له قوة وبأس شديد وله مكانة ومنزلة عالية رفيعة عند ذي العرش ، (مطاع ثم) أي : مطاع في الملأ الأعلى ، (أمين) ذي أمانة عظيمة ولهذا كان هو السفير بين الله وبين رسله ، وقد كان يأتي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفات متعددة ، وقد رآه على صفته التي خلقه الله عليها مرتين وله ستمائة جناح ؛ روى ذلك البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه . وروى الإمام أحمد عن عبد الله قال : «رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته وله ستمائة جناح كلٌّ منها سدَّ الأفق يسقط من جناحه من التهاويل والدرّ والياقوت ما الله به عليم» إسناده قوي . وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : «رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في حُلَّة خضراء قد ملأ ما بين السماء والأرض» رواه مسلم . وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((رأيت جبريل منهبطاً قد ملأ ما بين الخافقين عليه ثياب سندس معلق بها اللؤلؤ والياقوت)) رواه أبو الشيخ ، ولابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : «جبرائيل: عبد الله ، وميكائيل: عبيد الله ، وكل اسم فيه إيل فهو عبد الله»، وله عن العلي بن الحسين مثله وزاد «وإسرافيل عبد الرحمن» . وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ألا أخبركم بأفضل الملائكة؟ جبرائيل)). وعن أبي عمران الجوني أنه بلغه أن جبرائيل أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك ؟ قال : ((ومالي لا أبكي فوالله ما جفت لي عين منذ أن خلق الله النار مخافة أن أعصيه فيقذفني فيها)) رواه الإمام أحمد في الزهد . وللبخاري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبرائيل : ((ألا تزورنا)) فنزلت : ﴿وَمَا تَنْزِيلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [مريم: ٦٤]

أورد المصنف رحمه الله هنا جملاً تتعلق بجبريل عليه السلام الذي هو أشرف الملائكة وأفضلهم ومقدمهم، وله كما أشار المصنف المكانة العالية والمنزلة الرفيعة عند الله سبحانه وتعالى، وهو السفير بين الله وبين رسله، فهو الذي ينزل بوحى الله عز وجل على الرسل ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿[الشعراء: ١٩٣-١٩٤] فهو السفير وهو الواسطة في إبلاغ شرع الله تبارك وتعالى إلى الرسل الكرام، فذكر هنا رحمه الله تعالى جملاً تتعلق بخير الملائكة وأفضل الملائكة جبريل عليه السلام.

قال: ((فمن سادتهم)) ومعنى من سادتهم: أي من مقدم الملائكة وخيارهم وأفضلهم جبريل، والسيد: هو المقدم على غيره، السيادة تعني الأولوية والتقدم والرفعة، وجبريل عليه السلام هو أشرف ملائكة الله تبارك وتعالى وأفضلهم.

قال: ((فمن سادتهم جبرائيل عليه السلام)) يقال «جبرائيل» ويقال «جبريل» وكلُّ منهما لفظ صحيح، ومعناه كما سيأتي كلمة تعني عبد الله. وكل اسم فيه إيل فهو عبدٌ أو معبد يقال إسرافيل ميكائيل جبرائيل، فكل ما كان مضافاً إلى إيل فهو عبدٌ؛ عبد الله، عبيد الله، عبد الرحمن وهكذا.

قال: ((فمن سادتهم جبرائيل عليه السلام وقد وصفه الله تعالى بالأمانة وحُسن الخلق والقوة)) هذه ثلاث صفات:

❖ «الأمانة»: أي أنه أمين، والأمانة ضد الخيانة، فهو أمين أي يقوم بالمهام التي توكل إليه ويؤمر بها على أتم ما يكون دون إخلالٍ أو إقلالٍ أو تفريط بل يقوم بها بوفاء، فهو أمين، وقد وصفه الله تبارك وتعالى بالأمانة في آيات من القرآن الكريم، منها قول الله تعالى: ﴿مُطَاعِثَمَّ آمِينَ﴾ [التكوير: ٢١] وستأتي عند المصنف، وقول الله عز وجل ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣]، فالأمانة من صفاته عليه السلام، فهو أمين والأمانة صفته.

❖ ثم ذكر الصفة الأخرى قال: «وحُسن الخلق»؛ أي أن هيئته ومنظره ومراه وجسمه في جمال وحسن وبهاء عظيم، وهذا يدل عليه قول الله عز وجل ﴿ذُومِرَّةٌ﴾ [النجم: ٦] أي ذو جمال وبهاء وحسن كما يأتي تفسير هذا بذلك عند ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ذو خلق حسن وبهاء وسناء وقوة»، فمن معاني ﴿ذُومِرَّةٌ﴾ البهاء والجمال والحسن أي حسن الهيئة وجمال الخلق وحسن المرأى والمنظر، فكانت صفته عليه السلام كذلك.

❖ «والقوة» أي أن الله عز وجل أعطاه قوة، وسيشير المصنف رحمه الله تعالى إلى مثال يدل على قوة هذا الملك العظيمة وأنه شديد القوى، أعطاه الله عز وجل قوة شديدة، وهذا يدل عليه قول الله سبحانه وتعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النجم: ٥] أي جبريل عليه السلام، فجبريل أعطاه الله سبحانه وتعالى قوة عظيمة.

إذاً هذه ثلاث صفات لهذا الملك وهي الأمانة وحسن الخلق والقوة .

قال : ((فقال تعالى)) أي في وصفه بذلك : ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ [النجم:٥-٧]؛ ﴿عَلَّمَهُ﴾ أي علم النبي عليه الصلاة والسلام ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾ أي جبريل عليه السلام وهذه صفته ، ذكره الله تبارك وتعالى بصفته وأنه شديد القوى أي أعطاه الله سبحانه وتعالى قوة عظيمة وشدة عظيمة خصه تبارك وتعالى بها . قال: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ قيل في معناها أي ذو جمال وحسن وبهاء وهو الأقرب ، وقيل في معناها أي ذو قوة وشدة لكن الأقرب أن المعنى في قوله ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي ذو جمال وبهاء وحسن .

قال: ((ومن شدة قوته)) أي جبريل عليه السلام ((أنه رفع مدائن قوم لوط عليه السلام وكنن سبعا)) أي سبع مدن كبيرة فيها سكان وفيها المباني وفيها المشية وفيها الزروع جميع هذه المباني السبع الكبيرة ((رفعها عليه السلام بطرف جناحه)) أي أقلها من الأرض ونهضها إلى السماء رفعها عاليًا بطرف جناحه، وهذا من الدلائل على عظم قوة هذا الملك عليه السلام .

قال: ((رفع مدائن قوم لوط عليه السلام وكنن سبعا بمن فيهن من الأمم وكانوا قريباً من أربعمئة ألف وما معهم من الدواب والحيوانات وما لتلك المدائن من الأراضي والعمارات على طرف جناحه)) أي رفع هذه المدائن بمن فيها على طرف جناحه ، هذا شاهد ومثال لقوة هذا الملك عليه السلام .

قال: ((حتى بلغ بمن عنان السماء)) أي وصل بمن إلى عنان السماء أي المكان العالي الرفيع ، وعنان السماء: هو ما يقارب السحاب أو يعلو على السحاب ، وهذا اللفظ جاء في حديث النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث القدسي يقول الله تعالى: ((يا ابن آدم لو بلغت ذنوب السماء)) ، قيل في المعنى: أي العالي الرفيع من السماء ، والسماء هو العلو؛ أي رفعها عاليًا إلى عنان السماء أي إلى العالي الرفيع ، أو إلى ما يقارب السماء المبنية التي هي السماء الدنيا .

قال : ((حتى بلغ بمن عنان السماء حتى سمعت الملائكة نباح كلابهم)) وهذا فيه إشارة إلى أنه رفعهم رفعًا إلى مسافة قريبة من السماء حتى سمعت الملائكة نباح كلابهم وصياح ديكهم .

((ثم قلبها)) أي كفأ هذه الأراضي بمن فيها ((فجعل عاليها سافلها)) وهكذا كانت نهاية قوم لوط الذين كذبوه وعصوه وأتوا الفواحش والخسائس ونصحهم ونهاهم وأنذرهم وحذرهم .

قال: ((فجعل عاليها سافلها فهذا هو ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾)) يعني هذا مثال على شدة قوة جبريل عليه السلام .

قال : ((وقوله {ذو مرة} معناه أي : ذو خلق حسن)) أي بهاء في الخلق وجمال في الخلق وحسن في المرآى والمنظر . قال: ((ذو خلق حسن وبهاء وسناء وقوة وشدة)) فهذه المعاني يدل عليها قوله ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ ؛ أي ذو

جمال وحسن وبهاء ، وأيضا من المعنى وقوة وشدة . ((قال معناه ابن عباس)) أي جاء هذا المعنى عن ابن عباس رضي الله عنهما .

((وقال غيره : {ذو مرة} أي : ذو قوة)) معنى (ذو مرة) أي : ذو قوة ، والأقرب أن معنى ذو مرة أي ذو جمال وذو بهاء وذو حسن ، وأما الشدة والقوة فقد دل عليها قوله سبحانه وتعالى في السياق نفسه ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾ فهذا يعطي معنى القوة ، وقوله تعالى ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ يعطي معنى الحسن والجمال والبهاء والسناء كما جاء هذا المعنى عن ابن عباس رضي الله عنهما .

((وقال تعالى في صفته)) أي في صفة جبريل ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: ١٩] وإضافة القول الذي هو القرآن إلى جبريل إضافة إبلاغ وأداء ، وإلا القول هو كلام الله عز وجل سمعه جبريل من الله تبارك وتعالى كما قال جل وعلا في آية أخرى ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥] ، فالإضافة هنا إضافة إبلاغ وأداء ، نظيرها إضافته أي القول إلى نبينا عليه الصلاة والسلام في قوله تبارك وتعالى ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ [الحاقة: ٤٠-٤١] فهنا أضيف القول إلى رسولنا صلى الله عليه وسلم إضافة إبلاغ وأداء .

قال: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ﴾ هذه صفة لجبريل وصفه الله تبارك وتعالى بالقوة قال ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ ؛ وصفه بالقوة ، ووصفه بأنه مكين عند ذي العرش ؛ أي له مكانة عالية ومنزلة رفيعة ورتبة سنوية ، هذا معنى قوله جل وعلا ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ .

إذا وُصف هنا بالقوة قال ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ ووصف أيضا بأنه ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ أي له المكانة العالية والمنزلة الرفيعة ، ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ أي عند الله تبارك وتعالى .

﴿مُطَاعٍ ثَمَّ﴾ أي في الملأ الأعلى ، ما قاله لهم وما أمرهم به أطاعوه ، فهو مطاع يُمتثل أمره ولا يتردد أحد في الاستجابة لما يأمر به ، ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ﴾ أي مطاع في الملأ الأعلى . ﴿أَمِينٍ﴾ أي ومن صفاته الأمانة .

فهذه عدة صفات اجتمعت لجبريل عليه السلام في هذه الآية :

❖ الصفة الأولى: أنه رسول لله تبارك وتعالى يقوم بإبلاغ أوامره للملائكة وأيضا للرسول من البشر ، فهو واسطة بين الله عز وجل وبين خلقه في إبلاغ أمره .

❖ قال ﴿كَرِيمٌ﴾ ؛ أيضا من صفاته عليه السلام: الكرم ، والكرم هذه الكلمة معناها واسع وهي من الكلمات التي تدل على المعاني الواسعة ، فالكرم يدل على حُسن الخلق وطيب المعاملة والبذل والسخاء والإنفاق والوجود وغير ذلك من المعاني التي يتناولها الكرم ، وأيضا من معاني الكرم الحسن ، فالكرم له معاني كثيرة جدا والله تبارك وتعالى وصف جبريل عليه السلام بأنه كريم . إذا الصفة الثانية الكرم .

❖ الصفة الثالثة: القوة في قوله تعالى ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ أي صاحب جسم قوي وشديد ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾ كما في الآية المتقدمة .

❖ والصفة الرابعة لجبريل في هذه الآية الكريمة في قوله: ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ أي أن له مكانة عليّة ورتبة سنية ومنزلة رفيعة عند ذي العرش ؛ أي عند الله تبارك وتعالى هذه الصفة الرابعة .

❖ الخامسة في قوله تعالى: ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ﴾ ؛ وأن جبريل عليه السلام مطاع في الملأ الأعلى ويحييون ما يأمرهم ويمثلون ما يأمرهم به عليه وعليهم السلام .

❖ والصفة السادسة: الأمانة قال ﴿أَمِينٌ﴾ .

فهذه صفات ست جمعها الله تبارك وتعالى لجبريل عليه السلام في هذه الآية الكريمة . يقول المصنف رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية وبيان معناها ((أي : له قوة وبأس شديد)) هذا معنى قوله ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ ؛ معنى قوله ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ أي له قوة وبأس شديد .

((وله مكانة ومنزلة عالية رفيعة عند ذي العرش)) وهذا معنى قوله ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ أي له مكانة ومنزلة عالية رفيعة عند ذي العرش ؛ أي عند الله تبارك وتعالى .

وما يضاف إلى الله عز وجل بـ«ذو» ؛ يقال ذو العرش أو نحوها من الإضافات ، إما أن تكون إضافة خلقٍ أو إضافة وصف ، فإذا أضيف المخلوق إلى الله عز وجل مثل العرش هنا قال ﴿ذِي الْعَرْشِ﴾ فهذه إضافة خلق .

أما في مثل قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ﴾ [الذاريات: ٥٨] إضافة القوة إلى الله عز وجل إضافة وصف ، وكذلك قوله تبارك وتعالى ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] إضافة الجلال وإكرام إلى الله عز وجل إضافة وصف .

والضابط في هذا الباب: إذا أضيفت الأعيان القائمة بنفسها إلى الله فإضافتها إليه إضافة خلق ، وإذا أضيف إليه المعاني والصفات التي لا تقوم إلا بموصوف فإضافتها إليه تبارك وتعالى إضافة صفة . وقوله هنا ﴿ذِي

الْعَرْشِ﴾ إضافة العرش إلى الله عز وجل إضافة خلقٍ ، وهي إضافة تقتضي التشريف والتكريم .

قال: ﴿مُطَاعٌ تَمَّ﴾ معنى هذه الكلمة ((أي : مطاع في الملاء الأعلى)) أي في الملائكة الكرام ، ومن أسماء الملائكة الملاء الأعلى ، ونحن عرفنا فيما سبق أن هناك أسماء تجمع الملائكة وتشملهم مثل: الملائكة ، وجند الله ، والملاء الأعلى ، والسفرة ، والكرام البررة ، ونحو ذلك من الأسماء والأوصاف التي تجمع الملائكة وتشملهم .

قال ﴿أَمِينٌ﴾ وهذه الصفة السادسة في الآية المتقدمة لجبريل عليه السلام قال {أمين} أي ذي أمانة عظيمة أي صاحب أمانة عظيمة . قال : ((ولهذا كان هو السفير بين الله وبين رسله عليهم السلام)) أي في إبلاغ شرعه ووحيه وكلامه تبارك وتعالى إلى الرسل الكرام .

قال : ((وقد كان يأتي -أي بالوحي- إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفات متعددة)) وكنا أيضا عرفنا فيما يتعلق بصفة الملائكة أن الله أعطاهم قدرة على التشكل ، فكان يأتي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفات متعددة ؛ جاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام على صورة أعرابي شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يُرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه من الصحابة أحد ، فجاء على هذه الصورة ، وجاء على صورة دحية الكلبي رضي الله عنه وكان من الصحابة الذين أوتوا جمالا وحُسنا في الهيئة والخلق ، فجاء على صورته ، فكان يأتي إلى النبي عليه الصلاة والسلام على صفات متعددة .

((وقد رآه على صفته التي خلقه الله عليها مرتين وله ستمائة جناح وقد سد عظم خلقه الأفق)) من كبر جسمه قال ((وله ستمائة جناح ؛ روى ذلك البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه)) .

قال : ((وروى الإمام أحمد عن عبد الله أي ابن مسعود رضي الله عنه قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته)) أي التي خلقه الله تبارك وتعالى عليها ((وله ستمائة جناح كل جناح منها سد الأفق)) وهذا أيضا يدل على عظم خلق هذا الملك .

قال : ((يسقط من جناحه من التهاويل والدرّ والياقوت ما الله به عليم)) «يسقط من جناحه» أي من جناح جبريل «من التهاويل» أي الأمور العجيبة «والدر والياقوت ما الله به عليم» ؛ فهذه صفة لجبريل أو بيان لعدد أجنحته وصفة لأجنحة جبريل عليه السلام ، وأن كل جناح منها سد الأفق ، وأنه يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم .

قال : ((وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في حُلَّة خضراء قد ملأ ما بين السماء والأرض)) وهذا فيه أيضًا رؤية النبي عليه الصلاة والسلام عندما رأى جبريل أنه رآه على هذه الهيئة وعليه حلة خضراء ، والحلة: هو ما يُلبس ؛ فعليه حلة لونها أخضر وقد ملأ ما بين السماء والأرض أي سد الأفق وغطى ما بين السماء والأرض ، رآه النبي عليه الصلاة والسلام ، ومن كانوا أحياء من الناس في ذلك الوقت لم يروا شيئًا ، وهذا من دلائل قدرة الله تبارك وتعالى وأنه عز وجل على كل شيء قدير .

قال : ((وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : رأيت جبريل منهبطاً - أي نازلاً - قد ملأ ما بين الخافقين ، عليه ثياب سندس معلقٌ بها اللؤلؤ والياقوت)) وهذا بمعنى حديث عبد الله بن مسعود المتقدم ، قد ملأ ما بين الخافقين أي سد الأفق كما في الرواية الأخرى ، عليه ثياب سندس وفي الحديث الذي قبله أنه رآه عليه حلة خضراء ، معلق بها اللؤلؤ والياقوت .

قال : ((ولابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جبرائيل عبد الله)) أي معنى هذا الاسم وهي كلمة عبرانية معناها عبد الله . قال : ((جبرائيل عبد الله ، وميكائيل عبيد الله ، وكل اسمٍ فيه إيل فهو عبدٌ لله)) أي معبّد لله تبارك وتعالى .

قال : ((وله - أي ابن جرير - عن العلي بن الحسين مثله ، وزاد : وإسرافيل : عبد الرحمن)) أي معنى إسرافيل : عبد الرحمن .

قال : ((وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أخبركم بأفضل الملائكة ؟ جبريل)) وهذا فيه فضل هذا الملك وأنه مقدم الملائكة وسيدهم ، وهذا المعنى يدل عليه شواهد كثيرة ودلائل عديدة في القرآن وفي سنة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام ، ومن الشواهد عليه في القرآن : الآية المتقدمة؛ قول الله عز وجل : ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٌ﴾ أي له مكانة ومنزلة ، ولهذا قال المصنف : ((ولهذا كان السفير بين الله تبارك وتعالى وبين رسله)) أي في إبلاغ شرعه ووحيه .

قال : ((وعن أبي عمران الجوني أنه بلغه)) وعمران تابعي وبلاغات التابعين مرسله ((أن جبرائيل أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبكي)) أي جبريل كان يبكي جاء باكياً إلى النبي عليه الصلاة والسلام ، ((فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك؟)) أي ما الشيء الذي يبكيك ؟ ((قال : وما لي لا أبكي فوالله ما جفت لي عين منذ أن خلق الله النار مخافة أن أعصيه فيقذفني فيها)) أي في النار .

قال : ((وللبخاري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبرائيل : ألا تزورنا أكثر مما تزورنا؟)) أي ألا تكثر من زيارتنا أكثر من الزيارة التي تأتينا؟ ((فنزلت ﴿وَمَا تَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مريم: ٦٤]) وفي قول النبي عليه الصلاة والسلام لجبريل ((ألا تزورنا)) فيه دلالة على حبه عليه الصلاة والسلام لجبريل وحبه لزياراته ومجيئه إليه وفرحه عليه الصلاة والسلام بذلك ، ولهذا طلب من جبريل أن يكثر من الزيارة؛ ((ألا تزورنا أكثر مما تزورنا)) يطلب منه أن يكثر من الزيارة فنزل قول الله تعالى : ﴿وَمَا تَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ ؛ وهذا فيه أن جبريل وغيره من الملائكة لا يقومون بشيء إلا عن أمر الله تبارك وتعالى . فنزل قوله ﴿وَمَا تَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ الآية .

قال رحمه الله تعالى :

ومن ساداتهم ميكائيل عليه السلام وهو موكل بالقطر والنبات . وروى الإمام أحمد عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبرائيل : ((ما لي لم أر ميكائيل ضاحكاً قط ؟ قال ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار)). .

ثم قال رحمه الله تعالى : ((ومن ساداتهم)) أي من سادات الملائكة ميكائيل عليه السلام ، قال : ((وهو موكل بالقطر والنبات)) أي وكل الله عز وجل إليه أمر القطر والنبات ونزول الأمطار وأمر السحاب ؛ وكل الله عز وجل ذلك إلى ميكائيل .

وأورد فيما يتعلق بميكائيل هذا الحديث الذي رواه أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبرائيل : ((ما لي لم أر ميكائيل ضاحكاً قط ؟ قال ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار)) يعني منذ خلقت النار ورآها قال ما ضحك قط أي منذ ذلك الوقت ، وهذا بمعنى ما جاء في بلاغ أبي عمران الجوني فيما يتعلق بجبريل عليه السلام .

قال رحمه الله تعالى :

ومن ساداتهم إسرئيل عليه السلام ؛ وهو أحد حملة العرش ، وهو الذي ينفخ في الصور . روى الترمذي وحسنه والحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر متى يؤمر فينفخ)) قالوا : فما نقول يا رسول الله ؟ قال : ((قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا)). . وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((إن ملكاً من حملة العرش يقال له إسرئيل زاويةً من زوايا العرش على كاهله ، قد مرقت قدماه في الأرض السابعة السفلى ، ومرق رأسه من السماء السابعة العليا)) رواه أبو الشيخ وأبو نعيم في الحلية ، وروى أبو الشيخ عن الأوزاعي قال : ((ليس أحدٌ من خلق الله أحسن صوتاً من إسرئيل ، فإذا أخذ في التسبيح قطع على أهل سبع سماوات صلاتهم وتسبيحهم)). .

ثم ذكر ما يتعلق بإسرئيل عليه السلام وهو من سادات الملائكة ، وهؤلاء الملائكة جبريل وميكائيل وإسرئيل هم سادات الملائكة ومقدموهم ، ولهذا كان نبينا عليه الصلاة والسلام إذا قام يصلي من الليل توسل إلى الله عز وجل بربوبيته لهؤلاء الملائكة ، يخصصهم بالذكر لشرفهم ولأنهم سادات الملائكة ومقدموهم ، كان يقول عليه الصلاة

والسلام: ((اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم)).
قال رحمه الله: ((ومن ساداتهم إسرافيل عليه السلام وهو أحد حملة العرش)) وهذا بناه على حديث ابن عباس الآتي ذكره عند المصنف .

قال : ((وهو الذي ينفخ في الصور)) وهذا قول جماهير أهل العلم أن الذي ينفخ في الصور من الملائكة هو إسرافيل ، قد جاء في كثير من الأحاديث ذكر النافخ في الصور دون أن يُذكر اسمه كما سيأتي في الحديث ((كيف انعم وقد التقم ملك الصور وأصغى بسمعه)) ، قال «ملك الصور» وفي بعض الروايات «صاحب الصور» ، وجماهير أهل العلم على أن الموكول إليه النفخ في الصور هو إسرافيل عليه السلام ، ولهذا ذكر ابن القيم رحمه الله في بعض كتبه من سر توسل النبي عليه الصلاة والسلام لله عز وجل بربوبيته لهؤلاء الملائكة الثلاثة جبريل وميكائيل وإسرافيل: لأن هؤلاء الثلاثة موكول إليهم ما يتعلق بالحياة ؛ «جبريل» موكول إليه الوحي الذي به تحيا القلوب ، و«ميكائيل» موكول إليه القطر الذي به يحيي الناس والنبات والدواب، و«إسرافيل» موكول إليه النفخ في الصور الذي فيه حياة الأبدان. فهؤلاء الثلاثة موكول إليهم ما يتعلق بالحياة .

قال: ((روى الترمذي وحسنه والحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن)) والقرن هو الصور الذي ينفخ فيه قال الله تعالى ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ﴾ [المؤمنون: ١٠١] ، فالصور فسرته النبي عليه الصلاة والسلام في بعض الأحاديث عندما سئل عنه قال : ((قرن يُنفخ فيه)) ، وهنا قال ((صاحب القرن)) أي الذي وكل إليه النفخ في القرن ، والصور هو قرن ينفخ فيه .

قال: ((وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وأصغى بسمعه)) وهذه الصفة حنى الجبهة والإصغاء بالسمع إشارة إلى شدة التركيز والانتباه والانتظار للإذن أو للأمر بالنفخ في الصور . وفيه أن الملائكة سواء إسرافيل أو غيره لا يقومون بشيء من الأعمال إلا عن أمر الله تبارك وتعالى وإذنه ، ولهذا قال : ((ينتظر متى يؤمر فينفخ)) أي ينفخ في الصور .

((قالوا : فما نقول يا رسول الله ؟)) لأن هذا الأمر يخيف الإنسان ويدخل في قلبه خوفاً .

((قال : قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا)) وهذه الكلمة دلت النصوص في القرآن وفي السنة أن المسلم يقولها عندما يخاف من شيء أو عندما يتسلط عليه عدو أو نحو ذلك ، قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار ، وقالها النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام كما قال عز وجل: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لَهِمُّ النَّاسُ

إِنِّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] .

قال : ((وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن ملكاً من حملة العرش يقال له إسرافيل زاويةً من زوايا العرش على كاهله ، قد مرقت -أي دخلت وساخت- قدماه في الأرض السابعة السفلى ، ومرق رأسه من السماء السابعة العليا)). قال ((رواه أبو الشيخ وأبو نعيم في الحلية)) أي في حلية الأولياء ، والحديث في سنده كلام .

قال : ((وروى أبو الشيخ)) أي في كتابه العظمة وهو مطبوع ((عن الأوزاعي رحمه الله تعالى قال : ليس أحدٌ من خلق الله أحسن صوتاً من إسرافيل ، فإذا أخذ في التسبيح قطع على أهل سبع سماوات صلاتهم وتسبيحهم)) وهذا من قول الأوزاعي رحمه الله تعالى ، ومثل هذا يحتاج إلى الوقوف على دليل وشاهد عليه من سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، كما قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله «كلٌ يحتج لقوله لا به إلا الله ورسوله».

قال رحمه الله تعالى :

ومن ساداتهم ملك الموت عليه السلام ، ولم يجئ مصرحاً باسمه في القرآن ولا في الأحاديث الصحيحة ، وقد جاء في بعض الآثار تسميته بعزرائيل فالله أعلم . قاله الحافظ ابن كثير .

قال : ((ومن ساداتهم)) أي الملائكة ((ملك الموت)) وجاء ذكر هذا الملك بصفته لم يذكر اسمه لا في القرآن ولا في السنة وإنما ذكرت صفته؛ قال الله تعالى ﴿قُلْ يَتُوفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾ [السجدة: ١١] ، فهذا ملك من سادات الملائكة وكل الله عز وجل إليه قبض الأرواح وتوفي الناس .

قال : ((ومن ساداتهم ملك الموت عليه السلام ، ولم يجيء مصرحاً باسمه لا في القرآن ولا في الأحاديث الصحيحة)) أي ليس هناك دليل لا في القرآن ولا في الأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذكر اسم هذا الملك ، وأما تسميته بعزرائيل وهو مشهور على ألسنة كثير من الناس فهذا الاسم لم يأت لا في القرآن ولا في السنة الصحيحة عن النبي عليه الصلاة والسلام وإنما جاء في بعض الآثار تسميته بعزرائيل ، ولهذا قال : ((فالله أعلم باسمه)) لا يسمى بهذا الاسم ولا يجزم أن اسمه عزرائيل ما دام أنه لم يثبت على ذلك دليل .

قال رحمه الله تعالى :

وقال : إنهم بالنسبة إلى ما هيأهم له من أقسام فمنهم حملة العرش ، ومنهم الكروبيون الذين هم حول العرش وهم مع حملة العرش أشرف الملائكة ، وهم الملائكة المقربون كما قال تعالى : ﴿لَنْ يُسَنَّكَ الْمَسِيحُ أَنْ

يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢] .

قال رحمه الله تعالى : ((إنهم -أي الملائكة عموماً- بالنسبة إلى ما هيأهم له أقسام)) وهنا شرع رحمه الله تعالى في ذكر وظائف الملائكة وأعمال الملائكة ومهام الملائكة ، وأنهم أقسام أي باعتبار ما وكل الله تبارك وتعالى إليهم من مهام وأعمال ووظائف .

قال : ((فمنهم حملة العرش)) أي من وكل الله سبحانه وتعالى إليهم هذا الأمر ، وهذا جاء في القرآن وفي السنة الصحيحة عن النبي عليه الصلاة والسلام ومن ذلك قول الله عز وجل : ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾ [غافر: ٧] وقوله ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧] .

قال : ((ومنهم الكروبيون)) وهذا الوصف لم يأت فيما أعلم في شيء من الأحاديث الصحيحة عن النبي عليه الصلاة والسلام وإنما جاء في بعض الآثار ، والكروبيون قيل في المعنى أقوال منها : أي المقربون إلى الله عز وجل ، ووُصفهم بالمقربين مر معنا ﴿لَنْ يُسْتَكْفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢] .

قال : ((ومنهم الكروبيون الذين هم حول العرش)) وهنا فسر الكروبيون من الملائكة أي المقربون من الملائكة ممن هم حول عرش الرحمن ، قال عز وجل : ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ [الزمر: ٧٥] ، وقال ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلُهُ﴾ [غافر: ٧] .

قال : ((الذين هم حول العرش وهم مع حملة العرش أشرف الملائكة وهم الملائكة المقربون كما قال تعالى : ﴿لَنْ يُسْتَكْفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢])) .

قال رحمه الله تعالى :

ومنهم سكان السماوات السبع يعمرونها عبادةً دائمةً ليلاً ونهاراً صباحاً ومساءً كما قال تعالى : ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الانبيا: ٢٠] ومنهم الذين يتعاقبون إلى البيت المعمور . قلت : الظاهر أن الذين يتعاقبون إلى البيت المعمور سكان السماوات . ومنهم موكلون بالجنان وإعداد الكرامات لأهلها وهيئة الضيافة لساكنيها ، من ملابس وماكل ومشارب ومصاغ ومساكن وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

قال: ((ومنهم سكان السماوات السبع يعمرونها عبادةً دائمةً ليلاً ونهاراً صباحاً ومساءً كما قال تعالى : ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾)) أي لا يملون ولا يكلون ولا يسأمون بل هم في عبادة دائمة لله تبارك وتعالى وتسبيح مستمر بالليل والنهار دون سآمة أو ملل .

قال : ((ومنهم الذين يتعاقبون إلى البيت المعمور . قلت : الظاهر أن الذين يتعاقبون إلى البيت المعمور سكان السماوات)) أي من هم من عمار السماوات من الملائكة فهم الذين يتعاقبون إلى البيت المعمور؛ أي الذين يدخلونه أفواجاً أفواجا ، كل فوج منهم عددهم سبعون ألف ، ومن دخله لا يدخله مرة ثانية . قال: ((ومنهم موكلون بالجنان وإعداد الكرامات لأهلها وتهيئة الضيافة لساكنيها؛ من ملابس وماكل ومشارب ومصاغ ومساكن وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)) فمن الملائكة من وكل إليه ما يتعلق بالجنة ، وقد جاء في بعض الروايات ولم يثبت في حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن «رضوان» خازن الجنة كما أن «مالك» خازن النار كما سيأتي ، لكنه لم يأت في ذلك حديث صحيح يرفع إلى النبي عليه الصلاة والسلام .

قال رحمه الله تعالى :

ومنهم الموكلون بالنار أعادنا الله منها وهم الزبانية ، ومقدموهم تسعة عشر وخازنها مالك وهو مقدم على الخزنة وهم المذكورون في قوله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾ [عافر: ٤٩] ، وقال تعالى: ﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُؤُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧] ، وقال تعالى : ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غُلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] وقال تعالى : ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ (٣٠) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ﴿ إلى قوله ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر: ٣٠-٣١] .

قال ((ومنهم الموكلون بالنار أعادنا الله منها وهم الزبانية ، ومقدموهم تسعة عشر)) أي مقدم زبانية النار من الملائكة تسعة عشر كما قال الله عز وجل ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٣٠] أي على النار من الملائكة تسعة عشر . قال : ((وخازنها مالك)) أي خازن النار والمقدم على هؤلاء جميعاً مالك ، وجاء اسمه في القرآن في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧] ، وخصوه بالنداء دون غيره من الملائكة: لأنه مقدم الملائكة .

قال: ((وخازنها مالك وهو مقدّم على الخزنة ؛ وهم المذكورون في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ
 جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴾ [عافر: ٤٩] ، وقال تعالى: ﴿ وَتَادُوا يَا مَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ
 مَا كُنْتُمْ مَّا كُنْتُمْ ﴾ [الزخرف: ٧٧])) أي باقون في النار مخلدون فيها أبد الآباد ((وقال تعالى : ﴿ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا
 يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [النجم: ٦٠])) .

قال رحمه الله تعالى :

ومنهم الموكلون بحفظ بني آدم كما قال تعالى: ﴿ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ
 اللَّهِ ﴾ [الرعد: ١١] ، قال ابن عباس : ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه فإذا جاء أمر الله خلّوا عنه ، وقال
 مجاهد : ما من عبدٍ إلا وملكٌ موكلٌ بحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام فما منها شيء يأتيه
 يريد به إلا قال له وراءك ، إلا شيء يأذن الله تعالى فيصيبه . ومنهم الموكلون بحفظ أعمال العباد كما قال تعالى
 : ﴿ إِذِ تَلَقَى الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ
 عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٧-١٨] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِن عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا
 تَفْعَلُونَ ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢] .

ثم قال رحمه الله تعالى : ((ومنهم الموكلون بحفظ بني آدم)) أي الذين وكل الله عز وجل إليهم حفظ بني آدم ؛
 أي من أن يصيبهم شيء إلا شيء أذن الله تبارك وتعالى به أن يصيبهم . قال تعالى : ﴿ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ ﴾ أي من
 الملائكة ﴿ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ ؛ ومعنى قوله ﴿ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ : أي بأمر الله
 تبارك وتعالى .

((قال ابن عباس في معنى الآية : أي ملائكة يحفظونه - أي يحفظون الإنسان- من بين يديه ومن خلفه ، فإذا
 جاء أمر الله خلّوا عنه)) أي إذا جاء أمر الله عز وجل بأن يصيبه الشيء خلّوا عنه فأصابه الشيء الذي أذن الله
 تبارك وتعالى أن يصيبه .

قال: ((وقال مجاهد : ما من عبدٍ إلا وملكٌ موكلٌ بحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام)) أي يحفظه
 من الجن ومن الإنس ومن الهوام .
 ((فما منها شيء يأتيه يريد به إلا قال له وراءك)) أي إلا رده الملك وأرجعه .

((إلا شيء يأذن الله تعالى فيه)) أي يأذن تبارك وتعالى به أن يصيب الإنسان ، قال: ((فيصيبه)) أي يصيبه ما أذن الله تبارك وتعالى أن يصيبه ، إما من أذى الجن أو أذى الإنس أو الهوام أو السباع أو غير ذلك .

قال : ((ومنهم الموكلون بحفظ أعمال العباد كما قال تعالى : ﴿إِذِ تَلَقَى الْمُتَّقِينَ عَنْ الْيَمِينِ وَعَنْ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ (١٧) مَا يُلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾)) أي ملكان كاتبان أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله أحدهما يكتب الحسنات والآخر يكتب السيئات . وقال تعالى : ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ وهؤلاء الحفظة من الملائكة الذين يكتبون أعمال العباد ويطلعون على أعمالهم وهم على مقربة منهم .

قال رحمه الله تعالى :

روى البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن الله ينهاكم عن التعرّي فاستحيوا من ملائكة الله الذين معكم الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى ثلاث حالات : الغائط والجنابة والغسل ، فإذا اغتسل أحدكم بالعرء فليستتر بثوبه أو بجذم حائطٍ أو بغيره)) ، وقال الحافظ ابن كثير : ومعنى إكرامهم : أن يستحي منهم فلا يُملي عليهم الأعمال القبيحة التي يكتبونها فإن الله خلقهم كراماً في خلقهم وأخلاقهم ، ثم قال ما معناه : «إن من كرمهم أنهم لا يدخلون بيتاً فيه كلب ولا صورة ولا جُنُب ولا تمثال ولا يصحبون رفقة معهم كلب أو جرس» .

ثم أورد رحمه الله هذا الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما والحديث أيضا في سنده شيء من الكلام أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((إن الله ينهاكم عن التعرّي)) والمراد بالنهي عن التعرّي أي فيما لا يحتاج إليه الإنسان وما لا يضطر إليه الإنسان ، ولا يتعرى إلا بحدود الضرورة ، وإذا كان التعرّي بكشف العورة لقضاء الحاجة فإن أيضا هذا الأمر لا يُفعل إلا في حدود الحاجة ، وإذا كان يقضي حاجته في العراء يبعد عن الناس ولا يرفع ثوبه إلا إذا دنى من الأرض ويتوارى عن الأنظار بشجرة أو نحو ذلك .

قال: ((إن الله ينهاكم عن التعرّي فاستحيوا من ملائكة الله الذين معكم الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى ثلاث حالات : الغائط والجنابة والغسل ، فإذا اغتسل أحدكم بالعرء فليستتر بثوبه أو بجذم حائط - أي طرف حائط - أو بغيره)) ، والوصية بالستر وعدم التعرّي وأن يكون ذلك في حدود الحاجة هذا دلت عليه شواهد عديدة في هدي النبي صلى الله عليه وسلم وسنته القويمة صلوات الله وسلامه عليه، والاستحياء من الملائكة أيضا جاءت به السنة قال عليه الصلاة والسلام: ((ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة)) .

((قال الحافظ ابن كثير : ومعنى إكرامهم -أي الملائكة- أن يستحي منهم ؛ فلا يُملي عليهم الأعمال القبيحة التي يكتبونها)) هذا من إكرام الملائكة ، من إكرام الإنسان للملائكة أن يستحي منهم وأن لا يملي عليهم أعمالا يكتبونها سيئة ، وهذا فيه أن العبد عندما يباشر الأعمال السيئة والأعمال القبيحة هذا يتنافى مع الحياء من الملائكة ، لأنه لو كان يستشعر أن الملائكة معه ويرونه ويكتبون ما يفعل لاستحيا من الملائكة وامتنع من أن يملي عليهم أي يجعلهم يكتبون كلاما او أعمالا سيئة يقوم بها ؛ وهذا فيه الثمرة العظيمة الكبيرة التي ينالها ويفوز بها من يستحضر هذا الأصل العظيم الذي هو الإيمان بالملائكة ، فإذا استحضر الإنسان هذا الأصل العظيم ألا وهو الإيمان بالملائكة فإنه بإذن الله عز وجل يحجزه عن السيئات ويحرك فيه الإقبال على الطاعات والعبادات .

قال : ((فإن الله خلقهم -أي الملائكة- كراماً في خلقهم وأخلاقهم)) وهذا فيه شاهد لما سبق وهو أن الكرم معناه واسع ، فوصف الملائكة بأنهم كرام هذا يدل على كثرة الصفات الحسنة الجميلة الطيبة فيهم ؛ الصفات الخلقية والصفات الخلقية .

((ثم قال ما معناه -أي قال ابن كثير رحمه الله- إن من كرم الملائكة أنهم لا يدخلون بيتاً فيه كلب ولا صورة ولا جُنب ولا تمثال ، ولا يصحبون رفقة معهم كلب أو جرس)) وهذا جاء في معناه بعض الأحاديث تُرفع إلى النبي صلوات الله وسلامه عليه .

ولا يزال الكلام موصولاً عند المصنف رحمه الله تبارك وتعالى فيما يتعلق بوظائف الملائكة ، ولعلنا نكتفي بهذا ، والله تعالى أعلم . وصلى الله وسلم على عبد الله ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .